خواص تقربها من الولد حتى وصفها بعضهم بقوله انها رجل غير كامل الا انها تستطيع في دورها ان تعزو الى الرجل ذلك اللقب ولقد يكون الطفل في حالة نمو احد ذهناً واوفر ذكاء من الرجل إذا تراجع في سلم النشوء وهو على الاطلاق اطهر منه قلباً واقل اهتماماً

الارتقاء العقلي لا يجري على خط مستقيم فينهض بنا طوراً الى اعلى الذرى ويحطنا تارة الى اعمق المهاوي وهذه المميزات التي تفصل بين الرجل والمرأة ليست سوى نتيجة عوارض طارئة تزول بزوالها ومهما يكن من موقف المرأة ازاء الرجل فهو اثر من آثار المركز الذي وجدت فيه خلال عصور متوالية فهي كما وصفوها رجل ناقص لانها امرأة غير كاملة ومما يعزينا انها لم تخسر في عصور العبودية ذرة من القوة العضوية فيعيدها فقدانها من استعادة مركزها واقل تغيير في شروط حياتها العقلية والخلقية يمكنها من استرجاع الصفات التي اضاعتها

ان نجاح المرأة في عصرنا الحاضر ينعش في نفوسنا آمالاً ناضرة وبما ان ارتقاء الرجل قائم بارتقاء المرأة يحق لنا الوثوق بمستقبل الانسانية الزاهر · اهـ معربًا بتصرف من مقالة لجان فينو في المجلة البارزية دمشق : جرجي الحداد

ابن زيدون (١) وابن جهور

هذه رسالة ذي الوزارتين ابي الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الاندلسي القرطبي (٣٥٤ — ٤٦٣) كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس توفي عام (٤٤٣) يستعطفه بها لما كان في اعتقاله

(٢) يا مولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن ابقاه الله

(١) (المقتبس م) ص ٤٤٩ و٤٨٦ و٤٨٤

(٢) لابن زيدون رسالتان فريدتان في اسلوبهما ضمنهما كثيراً من الامثال العربية والاشارة الى وقائع تاريخية مهمة

احداهما الرسالة التي كتبها الى الوزير ابي عامر بن عبدوس يسخر به فيها وجعلها على لسان ولادة بنت المستكفي الاديبة الاندلسية المشهورة وقد شرحها جمال الدين بن

ماضي حد العزم واري زند الامل ثابت عهد النعمة .

فان سلبتني اعزك الله لباس انعامك وعطلتني من حلي ايناسك واظمأتني الى برود اسعافك ونفضت بي كف حياطتك وغضضت عني طرف حمايتك بعد ان نظر الاعمى الى تأميلي لك وسمع الاصم ثنائي عليك واحس الجماد باستنادي اليك فلا غرو فقد يغص بالماء شاربه ويقتل الدواء المستشفى به ويؤتى الحذر من مأمنه وتكون منية المتمني في امنيته « والحين قد يسبق جهد الحريص »

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لاتجلد واري الشامتين « اني لريب الدهر لا اتضعضع »

فاقول هل انا الا يد ادماها سوارها وجبين عض به اكليله ومشرفي الصقه بالارض صاقله وسمهري عرضه على النار مثقفه وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس احياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي وهذه النكبة سحابة صيف عن قليل تقشع .

ولن يريبني من سيدي ان ابطأ سحابه او تأخر غير ضنين غناؤه فابطأ الدلاء فيضاً املأها واثقل السحاب مشياً احفلها وانفع الحيا ما صادف جدباً والد الشراب ما اصاب غليلاً ومع اليوم غد ولكل اجل كتاب . له الحمد على اهتباله ولا عتب عليه في اغفاله

وان يكن الفعل الذي ساء واحداً فافعاله اللائي سررن الوف

واعود فاقول ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك والتحامل الذي لم يف به احتمالك .

نباته المصري الكاتب الشاعر المعروف (٦٨٦ — ٧٦٨) شرحاً سماه سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون وهو مطبوع في مصر

والرسالة الثانية كتبها الى ابي الوليد بن جهور (وهي المنشورة في هذا الجزء) وشرحها الاديب المؤرخ صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤) شرحاً سماه تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون وقد وقفنا على نسخة مخطوطة من هذا الشرح (ومنه جردنا هذه الرسالة) في خزانة صديقنا السيد عبد الباقي الحسني الجزائري والكتاب يقع في نحو مائتي ورقة كتب عام ١٠٥٦

لا اخلو من ان اكون بريئاً فاين عدلك او مسيئاً فاين فضلك

الا يكن ذنب فعدلك واسع او كان لي ذنب ففضلك اوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ونالني ما حسبي به وكفى وما اراني الا لو امرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت وقال لي نوح اركب معنا فقلت سآوي الى جبل يعصمني من الماء وامرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى وعكفت على العجل واعتديت في السبت وتعاطيت فعقرت وشربت من النهر الذي ابتلي به جنود طالوت وقدت الفيل لابرهة وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة وتأولت في بيعة العقبة ونفرت الى العير ببدر وانخذلت بثلث الناس يوم احد وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة وجئت بالافك على عائشة الصديقة وأنفت من امارة أسامة وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة وروبت رمحي من كتيبة خالد ومرقت مع الاعراب الذين الركت يد الله عليه وضحيت بالاشمط الذي عنوان السجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المسمم

وكتبت الى عمرو بن سعد ان جعجع بالحسين وتمثلت عند ما بلغني من وقعة الحرة

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

ورجمت الكعبة وصلبت العائذ على الثنية لكان فيما جرى علي ما يحتمل ان يكون نكالا ويدعى ولو بلغ الجرم عذابا

وحسبك من حادث بامرئ ترى حاسديه له راحمينا

فكيف ولا ذنب الا نميمة اهداها كاشح ونبأ جاء به فاسق وهم الهمازون المشاؤن بنميم والواشون الذين لا يلبثون ان يصدعوا العصا والغواة الذين لا يتركون اديماً صحيحاً والسعاة الذين ذكرهم الاحنف بن قيس فقال ما ضمك بقوم الصدق محمود الا منهم

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

والله ما غششتك بعد النصيحة ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ولا ازمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك وعهد اخذه حسن الظن بك فغيم عبث الجفاء بأذمتي وعاث العقوق في مواتي وتمكن الضياع من وسائلي ولم ضاقت مذاهبي واكدت مطالبي وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب وانى غلبني المغلب وفخر علي العاجز الضعيف ولطمتني غير ذات سوار ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس وتدركني ولما امزق ام كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء

حسداً لي على خصوصيتك واطلاع الناس الطراء منكشفة سيف الكرامة عليك وقد
رآني ابو بنظرة منك وزعال وسم نعمتك واليت الثناء الجميل في سلطانك وقمت المقام
المحمود في ايالتك

الست الموالي فيك نظم قصائد   هي الاعلاق الفاردة مع الليل الجي
ايام تجلل الروض منه منوراً   نضر ويجلل الوشي فيه مفوفا

وهل انس الصباح الا رداطرته عطافاتك وقلدت الجوزاء الا عقداً نصت به آرائك
واستقل الربيع الا ثناء ملأته من محاسنك وبث المسك الا حديثاً ادعته في محامدك
ما يوم حليمة بسر وان كنت لم اكسك حلياً ولا حليتك عطلاً ولا وسمتك غفلاً بل
وجدت آجراً وجصاً فبنيت ومكان القول ذا سعة فقلت وحاشاك ان اعدّ من العاملة
الناصبة واكون كالذبالة المنصوبة « تضيء للناس وهي تحترق » فلك المثل الاعلى وهو
بي وبك اولى ولعمرك ماجهلت ان صريح الرأي ان اتحول اذ بلغتني الشمس ونبا بي
المنزل واصفح عن الطامع التي تقطع اعناق الرجال فلا استوطئ العجز ولا اطمئن الى الغرور
ومن الامثال المضروبة خامر بها سجائر مريتها والي مع المرتحلين الجلاء سبيله والنقلة مثله

ومن يغترب عن قومه لم يزل يرى   مصارع مظلوم مجرّاً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ   يكن ما اساء النار في رأس كبكبا

لكن عارف بان الادب الوطن لا يخشى فراقه والخليط لا يتوقع زياله والنسب لا يجفى
والجمال لا يخفى ثم ميلان السعد الكواكب ابقى اثراً ولا اسنى خطراً من اقتران غنى
النفس به وانتظامهما في سلك معه الى الحظ تاما المضارب وسيرها « واول سالم » اينما
توجه ورد منهل بر وحط في جانب قبول وضوحك قبل ابرال رحله واعطى حكم الصبي
على اهله

وقيل له اهلاً وسهلاً ومرحباً   فهذا مبيت صالح ومقيل

غير ان الوطن محبوب والمنشأ مألوف والغريب يحن الى وطنه حنين الحبيب الى عطنه
والكريم لا يجفو ارضاً فيها قوابله ولا ينسى بلداً فيها مراضعه قال الاول

احب بلاد الله ما بين منعج   الي وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها حلَّ الشباب تمائمي   واول ارض مس جلدي ترابها

هذا الى مغالاتي بعقد جوارك ومنافستي بلحظة من قربك واعتقادي ان الطمع في
غيرك طبع واليأس منك غنى وانك عنا والبدل منك العوض والعوض لك

واذا نظرت الى اميري زادني ضناً به نظري الى الامراء

كل الصيد في جوف الفرا وفي كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار فما هذه البراءة ممن يتولاك والميل عمن لا يميل عنك وهلا كان هواك فيمن هواه فيك ورضاك فيمن رضاه لك

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

اعيذك ونفسي من ان اشيم خلباً واستمطر جهاماً واكرم عير مكرم واشكو شكوى الجريح الى العقبان والرخم فما ابيضت لي يد ببنانك الا لتدر وحركت لك الحوار الا لتحن ولا نبتك الا لاناة وسريت اليك الا لاحمد السرى لديك وانك ان سنيت عقد امري تيسر ومتى اعذرت في فك اسري لم يتعذر وشملك بحمد باسط المعروف ثمرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة وفضل الجاه تعود به صدقة

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة من جاهه فكأنها من ماله

لعلي القي العصى بذراك وتستقر بي النوى في ظلك واستأنف التأدب بآدابك والاحتمال على مذهبك فلا اوجد للحاسد مجال لحظة ولا ادع للقادح مساغ لفظة والله ييسرك من اطلاقي بهذه الطلبة واشكائي من هذه الشكوى بصنيعة يصيب منها مكان المصنع وتستودعها احفظ مستودع حسبما انت خليق له وانا منك حري به وذلك بيده وهين عليه .

ولما توالت غرر هذا النثر واتسقت درره لهز عاطف ثوانيه وجر ذيل خيلائه عارضه النظر اعجاباً بل كايده مداهياً حين اشفق من ان يعطفك استعطافه ويميل بنفسك قطافه فاستغنى عن المائدة منه واعتد بالفائدة له وما زال يستكد الذهن الكليل والخاطر الكليل حتى زف اليك منه عروساً مجلوة في اثوابها منصوصة عليها ومدلابها

وبعد ان اورد القصيدة (١) قال :

هذا كما اعزك الله بسطها الامل ويقبضها الخجل فاذنب التقصير وحرمة الاخلاص فهب ذنباً لحرمة واشفع نعمة بنعمة ليأتي لك الاحسان من جهاته ويسلك الى الفضل من طرقاته

دمشق محمد رشدي الحكيم

---

(١) لم ننشر القصيدة لغاية التحريف عليها